انتقال الافكار

اشرنا في الجزء الماضي الى ما ردّ به السر اوليفر لدج على ما كتبهُ الاستاذ نيوكم من قبيل مناجاة الارواح وانتقال الافكار ووعدنا بتلخيص الرد في هذا الجزء وانجازًا لذلك نقول

بدأ السر اوليفر لدج كلامهُ باعترافهِ ان كثيرين من اهل الغش والخداع ادّعوا مناجاة الارواح وما يجري مجراها من الامور الغريبة غير المألوفة فكانت دعواهم عثرة في سبيل الباحثين . ولكنهُ لام الاستاذ نيوكم لانهُ اقتصر على ما قيل في هذا الموضوع منذ عشرين سنة وما قبلها ولم يلتفت الى ما تمّ بعد ذلك ولا سيما لانهُ انكر "التليبثي" اي انتقال الافكار او تأثير عقول الناس بعضها ببعض عن بُعد ولا صلة بينها من المشاعر الخمس . قال واذا امكننا ان نجد تعليلاً آخر غير انتقال الافكار للافعال التي تفعلها مسز بيجر مثلاً كان ذلك غاية مُنانا لان كثيرين يعترضون على هذا التعليل ويحسبونهُ عثرة في سبيل البحث لاسيما وان انتقال الافكار قوة من القوى الخاصة ببعض الناس على ما يظهر فانا محرومٌ منها مثل الاستاذ نيوكم ولكن حرماني منها لا يؤخذ دليلاً على نفيها فقد عرفتُ اناسًا ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الغناء او ليس فيهم شيءٌ من المقدرة على الاشتغال بالمسائل الرياضية ولكن ذلك لا ينفي وجود اناس مقتدرين في الموسيقى وفي الاشغال الرياضية

ثم اشار الى غرض جمعيّة المباحث النفسية وهو تمحيص ما يروى من الامور الغريبة للوصول الى سببها الحقيقي . وقال ان ليس من غرضها التسليم بصحة كل ما يروى لها بل اعضاؤها اميل الى الشك منهم الى التصديق . وكثيرًا ما لامهم البعض على شدّة ريبهم . ووافق الاستاذ نيوكم على ان الاعتقاد بالسحر قد زال من عقول المتمدنين منذ قرنين وزال معهُ كل اعتقاد بتفاعل العقول الاّ بواسطة الحواس الخمس . ثم قال ولكن حدث شيءٌ من الردّة بعد ذلك واخذنا نرى اننا تطرفنا في الانكار فنفينا ما لا حقّ لنا في نفيهِ لا سيما وان حواسنا الظاهرة التي ارتقت بارتقاء طبيعتنا الحيوانية لكي ترشدنا الى ما يلزم لمعيشتنا المادية لا يُنتظر منها ان تدرك كل الظواهر العقلية . ولا شيءٌ ينفي ان يكون في هذا العالم امور كثيرة لا نعلم بوجودها وهذا مما جعل عالمًا كبيرًا مثل الاستاذ دوجوك يشتغل في هذه المباحث حينما كان جمهور العلماء ينظر اليها بالازدراء . وانا اعذر العلماء الطبيعيين الذين يأتون من البحث في هذه الامور العقلية المبهمة ولكني لا اعذرهم اذا وجدوا فيها سبيلاً للبحث فاغمضوا عيونهم عنهُ والشك ضروري في كل المباحث وويل للعالم اذا انقلب ايمانهُ من الانكار الى التصديق

دفعة واحدة من غير ان يبحثوا ويدققوا . فالدرس والبحث واجبان في كل الامور ولا سيما على رجال العلم ومتى ثبت لهم امرٌ وتحققوهُ تحققاً ينفي كل ريب وجب عليهم ان يعلنوهُ على رؤوس الاشهاد . والذين ينتقدونهم انما يدفعونهم الى زيادة البحث والتمحيص وقد يظلون ايديهم اذا مزجوا الانتقاد بالتهكم والازدراء ولكنني لا اظن ان ذلك يحدث بعد الآن لا سيما وقد انضم الى جمهور الباحثين كثيرون من رجال العلم والفضل وكبار المشتغلين وارباب السياسة

الاَّ ان الاستاذ نيوكم قد قال ان الغرائب التي تروى لا يبنى عليها حكم ولو كانت صحيحة لانها لا تجري على نسق واحد دائماً ولا تدلُّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ فاذا ظهرت الطرق التي يتم بها انتقال الافكار حتى اذا جرَّبها اي فردٍ كان نجح كما نجح غيرهُ اي نقل افكارهُ كما ينقل الذين يدَّعون نقل الافكار افكارهم صار انتقال الافكار حقيقة علمية . هذا ما قالهُ الاستاذ نيوكم وهو من الغرابة بمكان نعم ان جمع الحوادث المتفرقة التي لا يعلم ما بينها من الروابط لا يكفي لان يكون علماً قياسياً ولكن اكثر العلوم جرت هذا المجرى فظهور النيازك لم يعرف قياسهُ منذ مئة سنة وحتى الآن توجد حقائق كثيرة في علم البيولوجيا والجيولوجيا والميتيورولوجيا اذا قسناها بالمقياس الذي وضعهُ الاستاذ نيوكم وجب علينا ان نرفضها ولا نعتدَّ بها . وحكمهُ هذا ينفي كل العلوم الاستقرائية . والامتحان ليس شرطاً لازماً لصحة الحوادث والاَّ لوجب علينا مثلاً ان ننفي ما يقال عن ظهور نجوم جديدة في الفلك لان ظهورها او اظهارها لا يتم تحت الامتحان

وقد اشار الاستاذ نيوكم الى اكتشاف السر وليم كروكس للاشعة الكهربائية السلبيَّة وتناول العلماء هذا الموضوع واشتغالهم بهِ في كل مكان واكتشافهِ حركةً في بعض المواد لم يعلم سببها اشارة الى انتقال الافكار ولكن لم ينتج من اكتشافهِ هذا نتيجة مع ان جمعية الباحث النفسية أُنشئت للبحث عن مثلهِ . وعندهُ ان سبب ذلك هو ان ما قيل عن انتقال الافكار لم يثبت ثبوتاً علمياً ولا دلَّ على ناموس طبيعي يمكن اتباعهُ والجري عليهِ وانا موافقهُ على ذلك ولكنني اذكر لهُ تعليلاً آخر وهو ان انتقال الافكار اكتُشف قبلما كان رجال العلم مستعدين لهُ . ولو كانوا غير مستعدين للبحث في اشعة الكهربائية السلبيَّة لما كان لها اقل شأن عندهم ولم يكن لها اقل شأن عند جمهور الناس لولا استعداد رجال العلم للبحث فيها . ورجال العلم كانوا مستعدين كلهم او بعضهم للبحث في النور والكهربائية بما عندهم من الآلات والادوات ولكنهم غير مستعدين للبحث في انتقال الافكار لانهُ يتوقف على وجود قوى خصوصية في بعض الناس للتأثير في غيرهم وقوى خصوصية في غيرهم للتأثر منهم . والبحث الاول اي البحث

في الكهربائية والنور مطروق الآن لكل العلماء ولجمهور الناس ايضاً واما البحث الثاني فلم يزل في مجاهل لم يأتها الناس ولا هي مطروقة لهم كلهم . ولم يكن الامر كذلك في المباحث الاولى في غابر الزمان بل كان الحكم فيها كالحكم في المباحث الثانية فلما قام رجر باكن وبحث في المواضيع الاولى قوبل بالتعنيف وكان حظ بحثهِ الاهمال والنسيان لان الناس لم يكونوا مستعدين لها ولا كان عندهم مساعد طبيعيٌّ للبحث فيها وكان المتنورون قليلين متفرقين . وكان يسهل على بعض العامة ان يعبدوا تجارب باكن ويثبتوها ولكن لم يكن لهم فائدة من ذلك بل كانوا يضطرون ان يهملوها ويهربوا . وكان اسلم الامور عاقبةً حينئذٍ ان ينسب الانسان ما يراهُ من الغرائب الطبيعيَّة الى فعل السحرة والابالسة وان يعزو بالقائلين انها طبيعيَّة . اما الآن فالذين يسبقون غيرهم لا يعاملون بالجفاء كما عومل رجر باكن ولكن يُنظَر اليهم بعين الشفقة كأنهم من سخاف العقول وعليهم ان يكتفوا بذلك الاَّ اذا كان طبعهم يأبى الازدراء. ولكن يحسن بهم ان يصبروا لان الزمان ابو العجب واذا ظهر اخيرًا انهم واهمون ضالون فلا افضل لهم من ان ينبِّهوا من وهمهم ويرشدوا من ضلالهم

ولننظر الآن الى انتقاد الاستاذ نيوكم بالتفصيل ولا سيما في الامرين اللذين انتقدهما بنوع خاص وهما نقل افكار وخيالات المحتضرين

ولا شبهة في ان التجارب التي جُرِّبت في نقل الافكار اتخذت فيها الاحتياطات اللازمة لمنع كل اتصال بين الاشخاص بواسطة الحواس الظاهرة . ولا ندَّعي اننا منعنا كل اتصال ممكن لانهُ لا يمكن نقل شيء من شخص الى آخر الاَّ بواسطة شيء يصل بينهما فهل هذا الشيء هو التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعد وهل مُنِع كل اتصال عادي . فان كانت الافكار قد انتقلت مسافة اميال كثيرة فلا شبهة في انهُ لم يكن بينها اتصال عادي وان كان ما حدث من انتقال الافكار لم يحدث اتفاقاً فلهُ سبب آخر

وقد قال الاستاذ نيوكم ان النجاح في نقل الافكار يكون على اقلهِ اذا كان التدقيق في تجنب الخطإ على اكثرهِ اما انا فلا اسلِّم لهُ بذلك على احتمالهِ وسنبين التجارب صحة قولهِ او صحة قولي . ثم قال انهُ اذا أُحصيت الحوادث التي وقعت فيها الاصابة وأُهملت الحوادث التي وقع فيها الخطأ فالحكم المبني على الحوادث المصيبة غير صحيح . واتهمنا باننا نحصي الحوادث التي تصيب ونهمل الحوادث التي تخطئ . وهذا غير صحيح ومن يظن اننا فعلنا ذلك يكون قد اتهمنا باننا جارون في مباحث مجرى الاطفال السخاف العقول . والحقيقة التي لا شبهة فيها اننا في كل تجاربنا نحصي الحوادث التي لم تصب كما نحصي الحوادث التي اصابت . وقد

اهتم بعضنا ايضاً بمعرفة ما يمكن ان يحدث لو ترك الامر لمجرّد الصدفة والاتفاق

وقال ايضاً انهُ لم يجد في ما نشرتهُ جمعيةُ المباحث النفسية في السنوات العشر الاخيرة ما يدل على انها تقدّمت اقل خطوة في هذا الموضوع . ولكنهُ لو طالع ما نشرتهُ في اكتوبر سنة ١٩٠٧ لوجد تجارب مس ميلز ومس رمسدن اللتين اتخذتا انتقال الافكار مسافات طويلة ثم ما نشرتهُ بعد ذلك عن تجارب مسز بيبر. واذا كانت تلك الاعمال لا تفسَّر بانتقال الافكار فلا بدَّ من تفسيرها بقوة اخرى ولذلك اقول ولا اخشى معارضاً ان التجارب قد اثبتت امكان انتقال الافكار من شخص الى آخر ولا صلة بينهما من الصلات المعروفة

وقد استبعد الاستاذ نيوكم ان توجد قوة نقل الافكار في الناس ولم ينتبه لها قبل الآن اما انا فاقول ان قوة نقل الافكار قلما تكون قوية حتى يسهل اتخاذها . وقد اتخذ ندرتها دليلاً على نفيها لكن ندرة الشيء لا تنفيه . نعم ان من عادة الناس ان يكتموا ما يجول في خواطرهم ويحفظوا افكارهم في نفوسهم ولكن ذلك لا يمنع ان يوجد منهم من ترشح افكارهُ من عقلهِ وهؤلاء قلائل جدًّا ولو كانوا كثارًا لانتبه الناس لهذا الامر من قديم الزمان

ولكن تأثير الناس بعضهم في بعض بواسطة ما يصدر من افكارهم ليس بأغرب من تأثيرهم بعضهم في بعض بتمرجات المواد (في الكلام) وبعلامات يرسمونها على الورق (في الكتابة) . وعلى اي شيء يستند الاستاذ نيوكم في دعواهُ وهي ان كل قوة توجد في الناس قليلين يجب ان توجد في كل الناس والاَّ فهي غير موجودة

ونتقدم الآن الى الامر الثاني وهو ان الحوادث التي تحدث لبعض الناس قد تؤثر في غيرهم فيرون خيالات ونحوها تدلُّ على تلك الحوادث . فقد قال الاستاذ نيوكم ان بعض ما روي عن ذلك غير صحيح او مبالغ فيهِ . وانا اوافقهُ على قولهِ واقول ان اكثر ما روي من هذا القبيل غير صحيح ولا بدَّ من التدقيق والتمحيص لمعرفة الخبر الصحيح من الكاذب وهذا قد فعلتهُ جمعية المباحث النفسية كما يُرى في كتبها . وقد حُسب بعض هذه الاخبار صحيحاً ثم ثبت انهُ غير صحيح ولكن ما كان من هذا القبيل قليل جدًّا لا يزيد على اربع حوادث فيما اعلم ومن هذه الحوادث حادثة القاضي التي ذكرها الاستاذ نيوكم وقال انهُ لا يتذكر غيرها من الحوادث التي استُشهد فيها بشهادة شخص خارج عن المشتركين فيها. فانا لا يتذكر غيرها الاَّنها اصح من غيرها او لأنها ابطل من غيرها وهل كان يتذكر غيرها من الحوادث لو أُتيت الادلة على بطلانها

ثم التفت السر اوليفر لدج الى احصاء الحوادث التي تصدق والتي لا تصدق وبيَّن ان

التي تصدق اكثر كثيرًا مما لو كان صدقها من قبيل الاتفاق فالتفت الى الخيالات التي تدلُّ على موت الاقارب فقال ان احتمال موت الانسان في اي يوم كان من ايام حياته هو واحد من ١٩٠٠٠ (حسب ان متوسط عمر الانسان نحو ٥٠ سنة فيكون فيه ١٩٠٠٠ يومًا) فاذا تخيَّل انسان موت صديق له ١٩ الف مرةً وصدق تخيلهُ مرةً واحدة فيكون ذلك من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث حسب قواعد الممكنات او اذا تخيَّل ذلك ١٩ الف نفس وصدق واحد منهم في تخيلهِ فصدقهُ من قبيل الاتفاق الواجب الحدوث ولكن جمعية المباحث النفسية نشرت في تقريرها الجزء ١٧ الف نفس ومن هؤلاء ١٦٨٤ قالوا انهم يرون الخيالات ومن هؤلاء ٣٨١ قالوا انهم رأوا خيالات حقيقية ٣٥٢ منها خيالات اناس ثبت انهم ماتوا حينئذٍ و٢٠ خيالات غير واضحة و ٩ خيالات اناس لم يموتوا. هذه هي الخيالات التي تذكَّروها والمرجح انهم هم او غيرهم رأوا خيالات اخرى لم تصدق فنسوها واذا فرضنا ان ما نسي مضاعف ما ذكر فتكون الخيالات التي رُئيت نحو ١٣٠٠ وقد ثبت بعد البحث الدقيق ان ثلاثين من الذين رُئيت خيالاتهم ماتوا في اليوم الذي رُئيت خيالاتهم فيراي صدقت رؤيةٌ واحدةٌ من كل ٤٧ رؤية وذلك بمثابة ٤٠٠ من ١٩٠٠٠ وقد تقدم ان قوانين الاتفاق تقضي بصدق رؤية واحدة فقط من كل ١٩٠٠٠ فما صدق من رؤيات هؤلاء الناس اكثر مما يقتضيهِ قانون الاتفاق ٤٠٠ ضعف هذا اذا حدثت الوفاة ورؤية الخيال في مدى يوم كامل ولو كان الفرق بينهما نحو ٢٤ ساعة ولكن اذا كان الفرق بين الحادثين اقل من ٢٤ ساعة لم يعد مقتضى الاتفاق واحدًا من ١٩٠٠٠ بل اقل من ذلك كثيرًا. ولهذا حكمت جمعيةُ المباحث النفسية ان الحوادث التي بُنيتها من ظهور خيال الانسان يوم موته تدل دلالة قاطعة على انها لم تحدث بالاتفاق المحض ولا ينكر حدوثها الاَّ بوجود علاقة ما بين وفاة الانسان وظهور خياله او بوجود الغش او الخطإ في ذكر هذه الحوادث. وقد فسر السر اوليفر لدج هذه العلاقة بتأثير عقلي بين عقل المحتضر وعقل من يرى خيالهُ وقال انهم لجأوا الى هذا التفسير لانهم لم يروا تفسيرًا اقل بعدًا منهُ عن المألوف ولان بعض الناس حاولوا ان يؤثروا في عقول غيرهم فنجحوا في ذلك. وسواء صح هذا التعليل او لم يصح فلا شبهة ان الخيالات الصحيحة لا تظهر بمجرد الاتفاق ولا بدَّ من علاقة سببيَّة بين الموتى وخيالاتهم التي تظهر للاحياء كما قالت لجنة المباحث النفسية التي بحثت في هذا الموضوع. انتهى. هذه زبدة الردّ الذي ردَّ به السر اوليفر لدج على الاستاذ نيوكم وسنرى ما يكون رد الاستاذ نيوكم عليهِ